أَسْماءُ مَكَّةَ المُكَرَّمة والمَدينةِ المُنَوَّرةِ فِي القُرآنِ الكَريمِ

- دراسةٌ دلاليَّة -

د. حيدر حسين عبيد
كُليَّةُ الإِمامِ الأَعظمِ - قِسْمُ اللُّغةِ العربيَّةِ

مُقَدِّمَة

الَحمْدُ لله الذي شَرَّفَ الحَرمينِ الشَّرِيفَيْنِ بأسماءٍ عِظَامٍ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ خير الأنام، وعلى آلِهِ الأطهارِ الكرامِ، وأصحابِهِ البررة الأعْلام .

أَمَّا بعدُ ؛ فليس بِدْعاً من القولِ أنْ نقول إنَّ دِقَّة القرآن الكريم في اختيارِ كُلَّ لفظة مع ما يتناسبُ والسياق هي دِقَّةٌ ليس لها مثيل، ولن يكون لها مثيل أبداً ما تعاقب الليل والنَّهار، وذلك ما أثبته – من حيث النَّظرية والتَّطبيق– شيخُ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ – ١٠٧٨م) حين وضع نظرية النظم المشهورة، التي قامت على أساس أنَّ القرآن قد أعجز فُصحاءَ العرب وبلغائهم بنظمه، وممَّا قاله: (وَبَهَرَهُمْ أنَّهم تأمَّلوه سورةً سورةً، وعشراً عشراً، وآيةً آيةً، فلم يجدوا في الجميع كلمةً ينبو بها مكانها، ولفظةً يُنكر شأنها، أو يُرى أنَّ غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأَخْلَق، بلْ وجدوا اتِّساقاً بَهَرَ العُقُولَ، وَأَعْجَزَ الجمهورَ، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً، لم يدعْ في نفسِ بليغٍ منهم – ولو حَكَّ بيافوخه السَّماءَ – موضعَ طمعٍ، حتى خرست الألسن عن أنْ تَدَّعي وتقول، وخلدت القرومُ* فلم تَمْلِكْ أنْ تَصولَ)(١) .

---

* القروم: الفحول من أهل الأدب . العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ= ٧٨٦م)، تحقيق:د .مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: مادة (قرم): ١٥٨/٥ .

(١) دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة – دار المدني، جدة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م: ٣٩/١ .

وقد تكاثرت الدراساتُ القرآنيَّةُ الدلالية منذ تدوين العلوم حتى يومنا هذا، ولم تُحِطْ على كثرتها وتنوعها بأسرار ذلك الكتابِ العظيم، ولم تَكَدْ ..

وقد تعددت أسماءُ الأماكن والمُسمَّى واحدٌ في القرآن الكريم، وقد يبعد من الأذهان تَصَوُّرُ أنَّ لأسماء الأماكن علاقةً بالسياق، فالمركوز في الأذهان إنَّ الأسماء لا تدل إلا على مسمياتها دون أيِّ معانٍ إضافية، وأَنَّها مُجرَّد أعلام تواضعها الناس لتمييز تلك الأماكن، وقد يكون هذا الأمر صحيحاً في ما سوى كتاب الله تعالى، أمَّا الكتابُ المجيد فليس فيه لفظٌ يجيء عفواً، قطعاً .

ولذلك جاء هذا البحثُ ليحاول الكشف عن بعض أسرار علاقة أسماء مكَّة المكرمة، وأسماء المدينة المنورة في القرآن الكريم بالسياق الواردة فيه، وقد عثرت على بعض الدراسات حول الأَسماء في القرآنِ الكريمِ تناولتْ باختصارٍ بعضَ أسماء مكة والمدينة وهي:

١- **معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن وجاءت بها السنن والأخبار وتأويل ألفاظ مستعملة:** لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت: ٣٣٠ هـ- ٩٤٢ م): درس فيه أسماء كثيرة كأسماء الله تعالى وغيرها، وتناول بالدراسة من أسماء مكة اسمين: مَكَّة، وبكَّة، كما ذكر اسم المدينة ويثرب، وكانت طريقته في تلك الدراسة أَنَّهُ يدرس اشتقاق الاسم ومعناه وروده في القرآنِ الكريمِ كُلُّ ذلك باختصارٍ، وهو أَقربُ إلى الدراسةِ المعجميةِ .

٢- **من أسرار الأسماء في القرآن الكريم لبسام جرار:** ذكر فيه من أسماء مكة " أُمَّ القرى "، ومن أسماء المدينة " المدينة ويثرب "، وشرح معاني كلٍّ منها باختصارٍ معتمداً على المعجمات، وشيء يسيرٍ من التفسير .

ولكنّي لم أعثر على دراسة دلالية للأسماء المتعددة للمسمى الواحد تحاول ربط كلّ اسم بالسياق الوارد فيه، ومنها أسماء مكة والمدينة ..

إنَّ هذا البحث يدرس دلالة كلّ اسمٍ من أسماء مكة والمدينة وعلاقة كُلِّ اسمٍ منها بالسياق الواردة فيه، ويحاول الكشف عن دقةِ القرآنِ الكريمِ في استعمالِ الاسم موافقاً للسياقِ والمقامِ والعلاقة بين اختيار كل اسم والجوّ العام للآيات .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أَنْ ينقسم على مقدمة ومبحثين وخاتمة :

- المبحث الأول: أسماء مكّة المكرمة .
- المبحث الثاني: أسماء المدينة المنوّرة .

إنَّ هذا البحث محاولة لكشفِ جانبٍ يسيرٍ من الجوانب العظيمة للإعجاز القرآني، ودقَّةِ نظمِهِ، وجودة رصفه وَسَبْكه وتكامل الصورة الفنية فيه من خلال اختيار أسماء الأماكن بدقةٍ كاملةٍ موافقةً للسياق، وستتبعه –إن شاء الله تعالى– دراسة حول أسماء الأنبياء في القرآن الكريم .

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم

الباحث

المبحث الأول
أسماءُ مكَّة المُكرَّمة

ذَكَرَ العُلماءُ والمؤَرِّخون لمكَّةَ المكرمة أسماءً كثيرة، فقد ذكر الأزرقي منها سبعة أسماء هي: مكّة، وبكّة، وأمّ رحم، وأمّ القرى ،وصلاح ،وكُوثَى، والباسَّة (١) .

في حين ذكر الفاكهي لها عشرة أسماء: مكة، وبكة، وبَرَّة، وبسَّاسة، وأمّ القرى، والحَرَم، والمسجد الحرام، والبلد الأمين، وصَلاح، وكُوثى(٢).

وقد جمع الدكتور محيي الدين إمام لمكة خمسين اسماً(٣) .

الاسمُ الأوَّل: مَكّة

قال ابن فارس: (الْمِيمُ وَالْكَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْتِقَاءِ الْعَظْمِ، ثُمَّ يُقَاسُ عَلَى ذَلِكَ. يَقُولُونَ: تَمَكَّكَتِ الْعَظْمُ: أَخْرَجَتْ مُخَّهُ. وَامْتَكَّ الْفَصِيلُ مَا فِي ضَرْعِ أُمِّهِ: شَرِبَهُ. وَالتَّمَكُّكُ: الِاسْتِقْصَاءُ. وَيُقَالُ: سُمِّيَتْ مَكَّةَ لِقِلَّةِ الْمَاءِ بِهَا، كَأَنَّ مَاءَهَا قَدِ امْتُكَّ. وَقِيلَ سُمِّيَتْ لِأَنَّهَا تَمُكُّ

---

(١) ينظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أَحمد الأَزرقي(ت:نحو ٢٥٠ هـ - نحو ٨٦٥ م)، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت،١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م: ١/ ٢٨١ .

(٢) ينظر :أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه: محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي(ت: ٣٥٣ هـ - ٩٧٤م) ، تحقيق: د . عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط ٢، دار خضر، بيروت، ١٤١٤ ه: ٢/ ٢٨ - ٢٨١ .

(٣)ينظر: في رحاب البيت العتيق: د. محيي الدين إمام، دار قرطبة، الهرم، مصر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م: ٦ - ٨ .

مَنْ ظَلَمَ فِيهَا، أَيْ تُهْلِكُهُ وتَقْصِمُهُ كَمَا يُمَكُّ الْعَظْمُ. وَيُنْشِدُونَ: يَا مَكَّةُ الْفَاجِرَ مُكِّي مَكًّا) (١)

وقد أورد النووي تلك الأقوال ثمَّ قال: (وقيل: لأنَّها تَمُكُّ ذنوبَ المؤمنين ؛ أي: تَذْهَبُ بها)(٢) .

وقال أبو بكر الأنباري: (ويقال: سُمِّيتْ مكةُ لاجتذابها الناس من الأباعد، من قولهم قد تَمَكَّكْتُ العَظْمَ إذا أجديت ما عليه من اللحم)(٣) .

ومهما يكن من أمر فإنَّ هذا الاسم صار عَلَماً على مكة، وقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾(٤)، عن أنس بن مالك ﷺ ((**أنَّ ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين؛ يريدون غِرَّة النبيّ ﷺ**

---

(١) مقاييس اللغة :أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين(ت:٣٩٥ هـ = ١٠٠٤م)، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٢٧٤/٥ - ٢٧٥؛ معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن وجاءت بها السنن والأخبار وتأويل ألفاظ مستعملة: أبو بكر محمد بن عُزَيْر السجستاني (ت: ٣٣٠ هـ ٩٤١م)، تحقيق:د.جميل عبد الله عويضة١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م: ١١٨-١١٩ .

(٢) تحرير ألفاظ التنبيه: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي(ت: ٦٧٦هـ - ١٢٧٧ م) ، تحقيق: عبد الغني الدقر، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٤٠٨هـ: ١٣٤ .

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس :محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري(ت: ٣٢٨ هـ = ٩٤٠ م) ،تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م: ٨٦/٢ .

(٤) سورة الفتح، آية: ٢٤ .

وأصحابه، فأخذهم سلماً فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل هذه الآية))[١].

قال النَّحّاسُ: (قال قتادة: بطن مكة، يعني: الحديبية)[٢] .

ويبدو لي إنَّه قال مكة هنا؛ لأنَّ الكلام ليس عن كل مكة وإنما هو عن موضع محدد منها، فالكلام عن حادثة حصلت في الحديبية التي سمَّاها: بطن مكة وهو تعريف بالإضافة ؛ ولذلك كان لابد أن تكون الإضافة إلى أشهر أسمائها لتتحقق الفائدة من الإضافة، دون أن ينصرف الذهنُ إلى غيرها، ومكةُ أشهر أسمائها قديماً وحديثاً .

وأَمَّا وَصْفُهُ الحديبية بأنَّها بطن مكة فلأنَّ السياق في ذكر امتنان الله على المؤمنين بنعمه، ومنها: التمكين، والعزة، والنصر، فكأنَّه سبحانه يقول للمؤمنين: أنا الذي أنجيتُكم وأَنتم ببطن مكة ؛أي: وسطها وعمقها، أو: وأنتم في أسفل موضع فيها والكفارُ فوقَكم وهم محيطون بكم من كلِّ جانب، وليس ذلك فحسب بل جعلتُ لكم الظَّفَر بهم والنَّصر عليهم ؛ وذلك أبلغ في وصف الامتنان عليهم .

---

[١] صحيح البخاري: (الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه): محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ - ٨٧٠ م)، تحقيق: د . مصطفى ديب البغا، ط ٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م: ٢/ ٩٣٤، رقم الحديث: ٢٥٨١ ؛ صحيح مسلم(المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦٤ هـ - ٨٧٥ م)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٣/ ١٤٤٢، رقم الحديث ١٨٠٨، واللفظ لمسلم.

[٢] معاني القرآن الكريم: أبو جعفر أحمد بن محمد النحوي النحاس(ت: ٥٣٨ هـ - ١١٤٤ م) ، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط ١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩ هـ: ٦/ ٥٠٩ .

الاسمُ الثاني: بَكَّة

قال الخليل: (البَكُّ دَقُّ العُنُقِ ؛ وسُمِّيت بكة لأنَّ الناس يبكُّ بعضُهم بعضاً في الطواف ؛ أي: يدفع بعضُهم بعضاً بالازدحام، ويقال: بل سميت؛ لأنَّها كانت تبكُّ أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم)[1]، وقال ابن فارس:(الباء والكاف في المضاعف أصل يجمع التزاحم والمغالبة)[2]، في حين قال السجستاني: (وبكة مأخوذ من شيئين: من قولك بككتُ الرحل أبكّه إذا وضعتَ منه ورددت نخوته، كأنما سميت بكة؛ لأن كل ذي نخوة يتواضع فيها، ويتضع، وقال الحسن: هو من يتباكون فيها من كل وجه، وهو التدافع)[3].

وقد بيَّن ابن جني الفرق بين مكة وبكة فقال: (فأمَّا ما حكاه الأصمعي من قولهم: امْتَكَّ الفصيلُ ما في ضرع أمِّه، وامْتَقَّ، وتمقَّقَ، وتمكَّكَ، إذا شربه كله، فالأظهر فيه أن تكون القافُ بدلاً من الكاف لما ذهب إليه أبو علي ؛ لأنَّه قال: من هذا أُخذ اسم مكة؛ لأنَّها كالمجرى للماء فهو ينجذب إليها . قال فأمَّا موضع الطواف فهو بكة بالباء لأنه من الازدحام)[4] .

---

[1] العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: (١٧٠هـ= - ٧٨٦م)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: مادة (بك): ٥/٢٨٥ .

[2] مقاييس اللغة: ١/١٨٦ .

[3] – معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن وجاءت بها السنن والأخبار: ١١٩ .

[4] سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي(ت: ٣٩٢ هـ – ١٠٠٢ م) ، تحقيق: د . حسن هنداوي، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥ م: ١/ ٢٧٨ – ٢٧٩ .

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (١) .

قال الطبري: (وإما قوله للذي ببكة مباركاً فإنَّه يعني: لَلْبَيْت الذي بمُزدحم الناس لطوافهم في حجهم وعُمرهم)(٢)، وذهب إلى أنَّ بكة: موضع ازدحام الناس حول البيت(٣) .

ويبدو لي إنَّه سمَّاها بكة هنا لما يأتي :

١) لأنَّ السياق في ذكر الحج، والحجُّ فيه تَزاحُمٌ حول البيت وتَدافُعٌ –وهو التَّباكُّ–، "وبكة " تحمل الإشارة إلى ذلك المدلول.

٢) في السياق ذكر مشاهد من البيت الحرام، قال تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (٤)، فقد ذَكَرَ الآيات البينات، وذَكَرَ مقام إبراهيم عليه السلام والأمان لمن دخله، وكان من أهمِّ تلك المشاهد التَّبَاكُّ حولها – التدافع – ولذلك بدأ به فقال ببكة .

٣) ورد في سبب نزول تلك الآية عن مجاهد قال: (تفاخر المسلمون واليهود، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضلُ وأعظمُ

---

(١) سورة آل عمران: آية ٩٦ .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن :محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري(ت: ٣١٠هـ = ٩٢٣م)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م:٢٣/٦ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣/٦ .

(٤) – سورة آل عمران: آية ٩٧ .

من الكعبة؛ لأنَّه مُهَاجَرُ الأنبياء وفي الأرض المقدسة، وقال المسلمون: بل الكعبةُ أفضل؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية)[١].

وعليه فيبدو لي إنَّ القرآن الكريم أراد أن يردَّ عليهم مؤكداً فضيلة الكعبة على بيت المقدس، فذكر أنَّ من أعظم فضائلها أن الناس يقصدونها ويتباكّون عندها، وذلك القصد والتزاحم منذ القدم إلى أن تقوم الساعة لا ينقطع أبداً، وإنْ خلت من البشر فإنَّ الملائكة يطوفون في أرجائها .

الاسم الثالث: القَرْيَةُ

قال ابن فارس: (قري: القاف والراء والحرف المُعتلّ أصلٌ صحيحٌ يدل على جَمْعٍ واجتماع، من ذلك القرية ؛ سُمّيت قرية لاجتماع الناس فيها)[٢] .

والقَرية والقِرية: المِصْرُ الجامع، والجمع قرى، والقرية من المساكن والأبنية والضياع، وقد تطلق على المدن[٣] .

وقد أُطلق لفظُ القرية وأُريدَ بها مكّة في القرآن الكريم أربع مرات :

- **أولها**: على لسان المُسْتَضعفين في مكة قبل الهجرة، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ

---

[١]- أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨ هـ= ١٠٧٦ م)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ: ١١٩ .

[٢] مقاييس اللغة: ٥/٦٥ .

[٣]ينظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي المصري (ت: ٧١١ ه- ١٣١١م)، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، ط١، دار المعارف، القاهرة: مادة (قرأ): ١٥/ ١٧٤ .

يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ (١)، قال القرطبي: (القرية هنا مكَّةُ بإجماع المُتَأَوِّلين)(٢)، فنلاحظ ارتباط ذكر القرية بالظلم .

- **وثانيها:** قوله تعالى:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾(٣)، قال النحاس: (روى معمر عن قتادة قال: القرية: مكة)(٤)، فارتبط ذكر القرية هنا بالكفر بأنعم الله، والعقاب الواقع عليها بسبب ذلك الكفر، وقد وصف ذلك العقاب بأبلغ صورة، قال الفيروزابادي: (فاستعمال الذوق مع اللباس من أَجل إنَّه أريد به التجربة والاختبار؛ أي: بحيث جعلها تمارس الجوع ... فتأمَّل كيف جمع الذوق واللباس حتى يدل على مباشرة الذوق وإحاطته وشموله، فأفاد الإخبار عن أذاقته أنَّه واقع مباشر غير منتظر؛ فإنَّ

---

(١) سورة النساء: آية ٧٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ= ١٢٧٣م)، تحقيق: هشام سمير البخاري، ط١، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م: ٢٧٩/٥ .

(٣) سورة النحل: آية ١١٢ .

(٤) معاني القرآن للنحاس: ١٠٩/٤ .

الخوف قد يتوقع ولا يباشر، وأفاد الإخبار عن لباسه أنّه محيط شامل كاللباس للبدن)(١) .

- **وثالثها:** قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ جَنَّتِ﴾ (٢)، عن قتادة قال: (قريته: مكة)(٣)، فنلاحظ هنا أيضاً ارتباط ذكر القرية بالهلاك والتوبيخ والتهديد .

- **ورابعها:** على لسان الكفار المعترضين على جعل النبوة في شخص سيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ (٤)، قال الزمخشري: (والقريتان: مكّةُ والطائف)(٥)، والملاحظ هنا أيضًا أن السياق ليس في المدح وإنما في ذمّ أقوال كفار القريتين، فضلاً عن أنَّ اللفظ مثنى وسبب التثنية عادة ما يكون للاختصار.

إنّ المتأمّلَ آياتِ القرآن الكريم يجد ظاهرة واضحة للعيان، وهي إنَّ ذكر القرى - غالباً - يأتي في سياق التكذيب والهلاك والذمّ والعقوبة، ومنها :

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(ت: ٨١٧ هـ =١٤١٥م)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م :٢٣/٣ .

(٢) سورة محمد، آية: ١٣ .

(٣) تفسير القرآن: عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ - ٨٢٧ م)، تحقيق: د . مصطفى مسلم محمد، ط ١، مكتبة الرشد الرياض، ١٤١٠ هـ: ٢٢٢/٣ .

(٤) سورة الزخرف، آية: ٣١ .

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت: ٥٣٨هـ = ١١٤٣م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٢٥١/٤ .

١) قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١) .

٢) وقال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ (٢)

٣) وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ (٣) .

٤) وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾(٤) .

٥) وقوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ (٥) .

٦) وقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ (٦) . وغيرها كثير .

إذن فالقرآنُ الكريمُ يسمي " مكة " " قرية " في غير سياق المدح، وإنّما في سياق الذمِّ – ذمّ أهلها طبعاً – والظلم والاعتداء، وإنزال العقوبة وحلول العذاب، وممَّا هو معلوم أنَّ القرى تشتهر بصفتي الجهل والظلم، اللتين تؤدّيان إلى الكفر ومحاربة المصلحين والاعتداء عليهم .

---

(١) سورة الأنعام، آية :١٢٣ .

(٢) سورة الأعراف، آية: ٤ .

(٣) سورة الأعراف، آية: ٩٤ .

(٤) سورة الحجر، آية: ٤ .

(٥) سورة الحج، من الآية: ٤٥ .

(٦) سورة الطلاق: آية ٨ .

الاسمُ الرابع: أمُّ القُرى

قال الخليل: (إِعلم أنَّ كلَّ شيءٍ يُضَمُّ إليه سائرُ ما يليه فإنَّ العرب تسمي ذلك الشيء أُمّاً، فمن ذلك أمُّ الرأس: وهو الدِّماغ ... وأمُّ القرى مكة، وكلُّ مدينة هي أمُّ ما حولها من القرى)(١)، وقال الأَصفهاني: (ويُقال لكلِّ ما كان أصلاً لوجود شيء، أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه أمٌّ)(٢) .

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

– **أولها:** قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾(٣)، قال الطبري: (يقول تعالى: أنزلنا إليك يا مُحَمَّد هذا الكتاب مصدقاً لما قبله من الكتب، ولتنذر به عذاب الله وبأسه مَنْ في أمِّ القرى وهي مكة، و مَنْ حولها شرقاً وغرباً، مِنَ العادلين بربهم إلى غيره من الأنداد والجاحدين برسله، وغيرهم من أصناف الكفار)(٤)، وهناك أقوال في سبب تسميتها أمّ القرى، أشهرها :

١– لأنَّ الأرض دُحِيَتْ من تحتها، قاله قتادة(٥) .

٢– لأنَّها أول بيت وُضِعَ للناس، قاله السدي(٦) .

---

(١) العين: مادة أم: ٢/٢١١ .

(٢) المفردات في غريب القرآن :أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى(ت٥٠٢ هـ = ١١٠٨ م):، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية،دمشق، بيروت، ١٤١٢ هـ: ١/٨٥.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٩٢ .

(٤) تفسير الطبري: ١١/٥٣١ .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني: ٢/٢١٣ .

(٦) تفسير الطبري: ١١/٥٣١ .

٣- قال الحموي: (وقيل سميت مكة أمّ القرى؛ لأنَّها أقدم القرى التي في جزيرة العرب وأعظمها خطراً، أمّا لإجماع أهل تلك القرى فيها كل سنة، أو انكفائهم إليها وتعويلهم على الاعتصام لما يرجونه من رحمة الله تعالى)(١) .

- **وثانيها:** قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ٥٩﴾ (٢)، قال القرطبي: (يعني: مكة)(٣) .

- **وثالثها:** قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ (٤) .

ومن خلال تأمّل تلك الآيات ظهر لي أنَّ اسم " أمّ القرى " يأتي دائماً في سياق الإنذار والتحذير من الإعراض عن الدعوة والتهديد بالعذاب .

وفي رأيي – لكي نفهم الغاية من اختيار هذا الاسم في هذا السياق– أنَّهُ لابد لنا أنْ نستحضر في أذهاننا أنَّ مكّة المكرّمة كانت لها هيبة عظيمة لا تكاد تدانيها هيبة قبل الإسلام، وكانت لها مكانة في قلوب الموحدين والمشركين على حد سواء، فقد كانت محجاً للجميع فالحنفاء يقصدونها للعبادة، والمشركون يقصدونها للعبادة، ولما فيها من أصنامهم، وكلا الفريقين يعلم حقاً إنَّ من أساء لمكة أصابه العذاب الأليم عاجلاً وآجلاً .

---

(١) معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي(ت: ٦٢٦هـ=١٢٢٩م)، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م: ١/٤٥٤ .

(٢) سورة القصص، آية: ٥٩ .

(٣) تفسير القرطبي: ٣/٢٦٨ .

(٤) سورة الشورى، آية: ٧ .

والقرآن الكريم أَقرَّ تلك المكانة لمكة، ولكنه حين ينذر الكفار بالعذاب يذكر إنذاره " لأُمّ القرى " ؛ لأنَّه إذا كان الإنذار لتلك القرية العظيمة المنزلة بالهلاك والعذاب فهو من باب أولى يكون لغيرها، فإذا سمع أهل تلك القرى ذلك التحذير أوقع في نفوسهم ما لم يوقعه الإنذار المباشر، وهو يشبه مخاطبة الرئيس وإرادة المرؤوس .

الاسم الخامس: البَلَدُ " تنكيراً وتعريفاً "

قال الخليل: (البلد: كلُّ موضع مُستَحيز من الأرض، عامرٍ أو غيرِ عامر، خالٍ أو مسكون، والطائفةُ منه بلدة، والجميع البلاد)⁽¹⁾ .

وقد أطلق اسم " بلد " بالتنكير على مكة المكرمة في موضعين :

– **أحدهما:** في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ ⁽²⁾ .

وقد قابل ذلك بالتعريف في سورة أخرى، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ ⁽³⁾ .

وقد بَيَّن المناويُّ الفرقَ بين الاستعمالين، فقال: (والفرق بين هذا – أي: بالتعريف – وما هناك – أي: بالتنكير – أنَّ المطلوب هنا مجرد الأمن للبلد، والمطلوب هنالك: البلدية والأمن)⁽⁴⁾ .

---

(1) العين: مادة بلد: ٨/٤٢ .

(2) سورة البقرة، آية: ١٢٦ .

(3) سورة إبراهيم، آية: ٣٥ .

(4) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير :محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت: ١٢٥٠هـ=١٨٣٤م)، ط١، دار الفكر، بيروت: ٤/١٥٣ .

وأنا أميل إلى توجيه المناوي، فالسياق يشير إلى ذلك، فقد ذكرت سورة البقرة بناء سيدنا إبراهيم(عليه السلام) البيت، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (١) .

وقد بُنيت الكعبة المشرفة بوادٍ غير ذي زرع ولم تكن بلداً مسكوناً، وليس في ذلك الوادي داع ولا أنيس ولا مجيب ولا دار؛ ولذلك دعا لها أولا أن يكون ما حولها بلداً مسكوناً، ثمَّ أن يكون ذلك البلد آمناً .

إما الموضع الثاني من مواضع التنكير ففي قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢)، عن عكرمة قال: (البلد: مكة)(٣) .

ويبدو لي إِنَّهُ نَكَّرَ " بلد " هنا موافقة للسياق، فالسياق في ذكر فوائد الأنعام قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (٤)، وأرى أنَّ من تلك الفوائد كونها وسيلة نقل أساسية تنقل الإنسان إلى بلدٍ بالنسبة له نكرة لا يعرف عنه شيئاً، ولهذا فإِنَّه نَكَّرَ لفظة البلد ؛ للإشارة إلى كونه بلداً بعيداً لا يوصل إليه إلاّ بمشقة .

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٢٧ .

(٢) سورة النحل، آية: ٧ .

(٣) تفسير الطبري: ١٧/١٧٠ .

(٤) سورة النحل: الآيتان ٥ – ٦ .

ومن مواقع التعريف الأخرى في القرآن الكريم للبلد غير ما ذكرناه قبل قليل قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ (١)، قال مجاهد: (يعني: مكة)(٢) .

ويبدو إنَّه سمَّى مكة البلد هنا؛ لأنه ذكر الحلول، والإنسان لا يحلّ إلا ببلد مسكون مأنوس، وأمّا التعريف فلغرض التعظيم، والتعظيم موافق للقسم المذكور في الآية الأولى، وقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي فائدة تكرير البلد بقوله: (إنَّ هذا أجمل تكرير وأحسنه، ولا يقع الضميرُ موقعَه في الحسن إذ من المعلوم أنّ العرب إذا عُنِيت بلفظٍ كَرَّرَتْهُ وذلك كأن يكون في موطن التشويق، أو التحسّر أو التعظيم أو التهويل .... وهو هنا لتعظيم البلد الحرام)(٣) .

ونجده في سورة التين لا يكتفي بتعريف البلد وإنَّما يصفه بالأمين، قال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾(٤)، قال أبو حيان: (البلد الأمين: هو مكة، وأمين للمبالغة ؛ أي: آمن من فيه ومن دخله وما فيه من طير وحيوان، أو من أمُن الرجل بضمِّ الميم أمانة فهو أمين، وأمانته حفظُه من دخله، كما يحفظ الرجلُ ما يؤتمن عليه، ويجوز أن يكون فعيل بمعنى مفعول من أمنه؛ لأنَّه مأمون

---

(١) سورة البلد: الآيتان ١ – ٢ .

(٢)تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ=٧٢٢م)، تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر،١٤١٠هـ - ١٩٨٩م: ٧٢٩ .

(٣) لمسات بيانية في نصوص التنزيل: د . فاضل صالح السامرائي، بدون ذكر الطبعة ولا مكانها ولا سنتها، ٢٢٨ .

(٤) سورة التين، الآيات: ١ – ٣ .

الغوائل، كما وصفه بالآمن في قوله: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ (١)، بمعنى ذي أمْنٍ، ومعنى القسم بهذه الأشياء إبانة شرفها وما ظهر فيها من الخير بسكنى الأنبياء والصالحين، فَمَنْبَتُ التين والزيتون مهاجر إبراهيم ﷺ ومولد عيسى ومنشأه، والطور هو المكان الذي نودي عليه موسى ﷺ، ومكة مكان مولد رسول الله ﷺ ومبعثه، ومكان البيت الذي هو هدى للعالمين)(٢) .

وقد بَيَّنَ الدكتور فاضل السامرائي الفائدة من عدم وصف البلد بالأمين في سورة البلد ووصفه بالأمين هنا فقال: (إنَّه لما جرى ذكر المكابدة في هذا البلد وما استحل به من الحرمات وما أصاب الرسول ﷺ من المشقة والعنت والتعذيب لم يناسب ذلك ذكر الأمن ... كما أنَّ جو السورة يناسب ذكر الأمن، فإنَّ جَوَّ السورة في المكابدة والمشقة حتى إِنَّهُ لم يذكر جزاء المؤمنين في الآخرة بل ذكر جزاء الكافرين، وهذا الجزاء لا يأمن معه الكافر أَبد الآبدين، فلم يناسب ذكر الأمين)(٣).

وعليه فيلوح لي إنَّه وصف مكة هنا بالبلد الأمين لأمرين :

- **أحدهما:** إِنَّهُ لما ذكر أبرز سمة لبيت المقدس وهي التين والزيتون أو جعل التين والزيتون إشارة إلى مهاجر إبراهيم ﷺ، فإنَّه ذكر أَبرز سمة لمكة المكرمة وهي كونه البلد الذي يستحق أن يُسمى بلداً، وأَنَّهُ آمنٌ مَنْ دَخَلَهُ من إنسانٍ أو حيوان .

---

(١) سورة القصص، آية: ٥٧ .

(٢) البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت: ٧٤٥هـ= ١٣٤٤م)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م: ٨/٤٨٦ .

(٣) لمسات بيانية: ٢٢٨ .

– **والآخر**: إنَّهُ ذكر في هذه السورة جزاء المؤمنين، وهو قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾⁽¹⁾، فناسب أن يذكر معها الأمن .

وأما ذكر البلد تأنيثاً فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ⁽²⁾، المراد بالبلدة هنا: مكة⁽³⁾ .

قال أبو السعود: (وتخصيصها بالإضافة لتفخيم شأنها وإجلال مكانها، والتعرض لتحريمه تعالى إياها تشريفٌ لها بعد تشريف، وتعظيمٌ إِثْرَ تعظيم، مع ما فيه من الإشعار بعلة الأمر وموجب الامتثال به)⁽⁴⁾ .

قال التوربشتي: (ووجه تسميتها بالبلدة – وهي تقع على سائر البلدان – أنَّها البلدة الجامعة للخير، المُسْتَحِقَّة أنْ تُسَمَّى بهذا الاسم لتفوقها سائر مسميات أجناسها، حتى كأَنها هي المحل المستحقة للإقامة بها، من قولهم: بَلَدَ بالمكان ؛ أي: أقام)⁽⁵⁾ .

---

(١) سورة التين: من الآية ٦ .

(٢) سورة النمل، آية: ٩١ .

(٣) تفسير الطبري: ١٩/٥١٠ .

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ=١٥٧٤ مـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٦/٣٠٦ .

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد العينتابي (ت: ٨٥٥هـ – ١٤٥١هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٠/٨ (باب الخطبة أيام منى) .

والذي أميلُ إليه إِنَّه أطلق على مكة " البلدة " هنا؛ لأنَّه لا يريد كل مكة، وإنما أراد الجزء المخصوص منها بالتحريم " الحَرَم " *، يدلنا على ذلك إِنَّه قال بعدها: " الذي حرمها " فذكر التحريم لذلك الجزء من مكة، وقد مرَّ بنا قول الخليل أن البلدة طائفة من أجزاء البلد، وليس البلد كله .

ومن جانب آخر فإِنَّ في لغة العرب ألفاظًا يذكّرونها مرة ويؤنثونها أخرى، فإذا أرادوا نسبتها إلى القوة ذكّروها وإِنْ أرادوا نسبتها إلى الضعف والحاجة أنّثوها، وبما أنَّ المقام ليس في تعظيم مكة وإنما لتعظيم الله والدعوة إلى عبادته فإِنَّهُ تعالى كأنه أراد أن يخاطب أهل مكة قائلاً: إنَّ هذه البلدةَ مفتقرةٌ إلى الله، ضعيفةٌ أمامه فهو تعالى بِقُدْرَتِهِ مَنْ حَرَّمَهَا فجعل لها تلك الحرمة والمهابة، وتؤكد ذلك عدة أمور، منها: إِنَّه قال بعدها: " الذي حَرَّمَهَا " وكان من الطبيعي أن يعود الموصول على البلدة بوصفٍ أو خبرٍ، كأن يقال: البلدة التي تسكنون ، ومنها أنَّ اسم البلدة ارتبطت في القرآن بذكرِ حاجتها إلى اللهِ وامتنانهِ تعالى بإحيائها، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴾ (١)، ومنها: ﴿ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴾ (٢) .

---

* مكة المكرمة من الناحية الإدارية تتسع خارج الحرم بمسافات .ينظر في ذلك: مكة المكرمة في الفكر الإسلامي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين: د.حمد عبد الكريم البرزنجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م :١٧٧-١٨٤ .

(١) سورة الفرقان، الآيتان: ٤٨ – ٤٩ .

(٢) سورة ق، آية :١١ .

الاسم السادس: الحَرَمُ الآمِنُ

قال ابن فارس: (الحاء والراء والميم أصلٌ واحدٌ، وهو المنع والتشديد ... والحَرَمان: مكة والمدينة ؛ سُمِّيا بذلك لحرمتهما، وأَنَّه حرم أن يحدث فيهما، أو يؤوى مُحْدِثٌ)[1] .

وقال أيضًا: (أمن: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أَحدهما: الأمانة التي هي ضِدُّ الخيانة، ومعناها سكونُ القلب . والآخر: التصديق . وبيتٌ آمن:ذو أَمن)[2] .

إذن فالمعنى العام للحرم الآمن: هو المكان ذو الحرمة، المانحُ الأمانَ لمن يلتجئ إليه*، وليس الأمين في نفسه فحسب .

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في موضعين :

– **أحدهما:** في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[3]، روي أنها نزلت في الحرث بن عثمان بن عبد مناف، ((**وذلك أَنَّه قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم أنَّ الذي تقول حقٌّ، ولكن يمنعنا من اتباعك أنَّ العرب تخطفنا من أرضنا لإجماعهم على خلافنا، ولا طاقة لنا بهم**))[4] .

---

[1] مقاييس اللغة: ٢/٤٥ .

[2] المصدر نفسه: ١/١٣٤ .

* لأنه عدل إلى صيغة اسم الفاعل (آمن) فلو قلنا: فلان نافع، فإِنَّه أَبلغ من منفوع ؛ لأنَّ النافع هو من يمنح غيره النفع .

[3] سورة القصص، آية: ٥٧ .

[4] أسباب النزول: ٢٢٨ .

ومعنى حرماً آمناً: (ذا أمن، وذلك أنَّ العرب كانت في الجاهلية يُغِيْرُ بعضُهم على بعضٍ، ويقتل بعضُهم بعضاً، وأهل مكة آمنون حيث كانوا، بحرمة البيت)[1] .

يقول حسن رفاعي: (وقوله تعالى: " نتخطف من أرضنا " مُشْعِرٌ في جوهره ومضمونه أنَّهم ؛ أي: الكفار من قريش مزجوا رفضهم الإنكاري بمحاولة إبرازها في دواخل أنفسهم من خوف من أنَّهم إذا ما اسلموا أخرجتهم العرب من الحرم، هكذا تصوروا، وهكذا زعموا)[2] .

ممَّا مر يظهر لي إنَّه اختار هنا " حرماً أمنا " ؛ لما يأتي :

١) إنَّ المقام في الرد على زعم الكفار أن الناس تتكالب عليهم وتأخذهم في سرعة واستلاب[3] إنْ هم آمنوا، فكان لابد من ردٍّ قوي يتناسب وقوة تصويرهم للرعب المتداخل في نفوسهم ؛ ولذلك ذكرهم القرآن أنهم في " حرم آمن " والحرم وحده يعيذ الملتجئ إليه ويصونه ويحميه، فكيف به وقد وصفه القرآن بأنه آمن؟!

وَوَصْفُ الحرم بأنَّه آمنٌ أبلغ من وصف أهله بذلك – كما يبدو لي – لأنَّ الحرم جمادٌ – أحجار وجبال وشعاب ووديان – فإذا امتد الأمانُ ليشمل الجمادات، أو لنقل: لتشعر به حتى الجمادات، فكيف بالأحياء ؟ ! لا شك أنهم يشعرون بأعلى درجات الأمان والطمأنينة والسكون .

٢) لا يمكن أنْ ينصرف الذهن إلى غير مكة، فالخطاب جوابٌ لأهلها القائلين نتخطف من أرضنا .

---

[1] تفسير القرطبي: ٢٦٦/١٣ .

[2] تفسير آيات الجدل في القرآن الكريم: حسن رفاعي، ط ١، القاهرة ، ١٩٩٤ م: ٤٩٧ .

[3] ينظر: تفسير الطبري: ٦٠١/١٩ .

٣) في الآية إشارة إلى شدة اعتزاز أهل مكة ببلدتهم لقولهم: أرضنا، فكان جواب القرآن لهم بأَنْ لا يرتكز في ذهنهم بأنَّها أَرض للسكن فحسب، بل هي حرم آمن .

ومن عادة الإنسان إذا سكن أرضًا فمن شدة اعتياده على حرمتها فإِنَّه ينسى ذلك، فيبقى التعلق بها بكونها وطناً فحسب، ناسياً نعمتها وحرمتها .

الاسم السابع: وادٍ غيرِ ذي زرع

وقد ورد في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾(١)، قال أبو حيان: (" ومن " للتبعيض ؛ لأنَّ إسحاق كان في الشام، والوادي بين الجبلين، وليس من شرطه أن يكون فيه ماء، وإنَّما قال غير ذي زرع؛ لأنه كان علم أنَّ الله لا يضيع هاجر وابنها في ذلك الوادي، وأَنَّه يرزقهما الماء، وإنما نظر النظر البعيد فقال: غير ذي زرع، ولو لم يعلم ذلك من الله تعالى لقال: غير ذي ماء، على ما كانت عليه حال الوادي عند ذلك)(٢) .

ويبدو لي: إِنَّهُ ذكر مكة بهذا الاسم أو هذا الوصف لما يأتي :

١) إنَّ سيدنا إبراهيم كان في مقام الدعاء، ومقام الدعاء يقتضي إظهار الضعف والتذلل لله سبحانه وتعالى، لكي يكون الدعاءُ أقرب إلى الإجابة، وعليه فإِنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام أراد استدرار رحمة الله واستنزال بركاته بالإجابة، فكأنه خاطبه قائلاً :

أ- يا إلهي هؤلاء بعض ذريتي- لأنَّه قال: من ذريتي- ، وفي ذلك إشارة لانفرادهم بالسكن في ذلك الوادي الذي لا أنيس فيه، وهم قلة "

---

(١) سورة إبراهيم ،آية :٣٧ .

(٢) البحر المحيط: ٥/٤٢٠ .

إسماعيل وهاجر " فهم منفردون ؛ أي: في وحشة، والوحشة مؤلمة، فارحمهم .

ب- في قوله " بوادٍ " نوعٌ آخر من التذلل، فعادةً ما يكون الوادي مخيفاً ولاسيّما إذا أحاطت به الجبال العظيمة كجبال مكة، وكذلك استعمال الباء بدل " في " فيه إشارة أخرى إلى كونهم أسفل الوادي، فكأنَّهم ملتصقين بأسفله، وذلك أَدعى للوحشة والخوف .

ج- في قوله " غير ذي زرع " إشارة أخرى إلى التذلل فهو خبرٌ خرج لمعنى الدعاء باستعمال أسلوب التذلل، فكأنَّ إبراهيم يقول: يا رب رحمتك بهؤلاء، فلا زرع يأكلون منه، ولا نبت يتقوَّتون به، وقد تكون في لفظة الزرع إشارة إلى البشر أيضًا . ذلك كله من جانب سيدنا إبراهيم عليه السلام... أما من جانب الله تعالى ..

٢) فإنَّ الله تعالى قال قبل ذكر آيات سيدنا إبراهيم عليه السلام، وبعد أنْ عدَّدَ نعمه على عباده: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ تَعُدُّواْ ﴾[١]، إذن فهو تعالى يريد أن يذكر امتنانه باستجابة دعاء عباده ؛ فلذلك ذكر على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام أصعب وصف لمكة آنذاك، وهو كونها لا تُنْبِتُ زرعاً .

الاسم الثامن: مَخرج الصِّدق

قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾[٢]، قال الصنعاني: (عن قتادة قال: مُدْخل صدق: المدينة، ومُخْرج صدق: مكة)[٣]، وقد نقل الطبري هذا القول

---

[١] سورة إبراهيم، آية: ٣٤ .

[٢] سورة الإسراء، آية: ٨٠ .

[٣] تفسير القرآن: ٢/٣٨٩ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، وابن زيد، ثم ذكر الطبري أنَّ ذلك الرأي هو أولى الأقوال بالصواب[١] .

وقال ابن منظور: (أَما المُخْرَجُ فَقَدْ يكُونُ مصدرَ قَوْلِكَ أَخْرَجَه، والمفعولَ بِهِ واسمَ الْمَكَانِ وَالْوَقْتِ، تَقُولُ: أَخْرِجْني مُخْرَجَ صِدْقٍ، وَهَذَا مُخْرَجُه)[٢] .

وقال الواحدي: (ومعناها أدخلني المدينة إدخال صدق ؛ أي: إدخالاً حسناً لا أرى فيه ما أكره، وأخرجني من مكة إخراج صدق لا أَلْتَفِتُ إليها بقلبي)[٣] .

وقال الشوكاني: (وهما مصدران بمعنى الإدخال والإخراج، والإضافة إلى الصدق لأجل المبالغة، نحو: حاتم الجود؛ أي: إدخالا يستأهل أن يسمى إدخالاً ولا يرى فيه ما يكره)[٤].

قال الواحدي: (وإضافتهما إلى الصدق مدح لهما، وكل شيء أضفته إلى الصدق فهو مدح)[٥] .

وقال سيد قطب: (وهو دعاءٌ يعلمه الله لنبيه ليدعوه به، ولتتعلم أمته كيف تدعو الله وفيم تتجه إليه، دعاءٌ بصدقِ المدخل وصدق المخرج، كنايةً عن صدق الرحلة كلها، بدئها وختامها، أولها وآخرها، وما بين الأول والآخر، وللصدق هنا قيمتُهُ بمناسبة ما حاوله المشركون

---

[١] تفسير الطبري: ١٧/٥٣٣ – ٥٣٥ .

[٢] لسان العرب: مادة (خرج): ٢/٢٤٩ .

[٣] الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/٦٤٥ .

[٤] - فتح القدير :٣/٢٩٩ .

[٥] الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/٦٤٥ .

من فتنته عما أَنْزَلَ الله عليه ليفتري على الله غيره، وللصدق كذلك ظلالُهُ: ظلالُ الثَّبات، والاطمئنان، والنظافة، والإخلاص)[1] .

ولكي نعرف الظروف المحيطة بالآية لابد لنا أنْ نُعَرِّج على سبب نزولها، فعن الحسن أنَّ كفار قريش لما أرادوا أن يوثقوا النبي ﷺ ويخرجوه من مكة أراد الله تعالى بقاء أهل مكة، وأمر نبيه أن يخرج مهاجراً إلى المدينة، ونزل قوله تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [2] [3] الآية .

وبناء على ذلك يبدو لي أنَّ الله تعالى علَّمَ نبيَّه ﷺ ذلك الدعاء ليستجيب له فتكون النتيجة أَنَّهُ لا يُؤْذَى عند خروجه من مكة، وقد ذكرت السورة محاولة إخراج المشركين رسول الله ﷺ إخراجًا فيه إساءة وأذى، قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [4]، فسمى الله مكة " مخرج الصدق" ليكون الخروج ليس فيه أيّ أذى .

ويلوح لي أيضًا أنَّ الله تعالى سَمَّى مكة مخرج صدق مدحاً لها وتعظيماً لمكانتها وإشارة إلى فضلها، فقد يتبادر إلى الأذهان أنَّ للمدينة المنورة مكانة عظمى، وليست لمكة أيُّ مكانة بعد خروج رسول الله ﷺ منها، ولكن هنا أشار القرآن إلى أفضيلة المدينة المنورة عند ذكرها أولا بذكر مدخل الصدق قبل مخرج صدق، فمن المعروف عقلاً أن الخروج يكون أولا ثم يأتي الدخول، ولكن ذكر المدينة أولا " مدخل الصدق "

---

[1] في ظلال القرآن :سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي(ت: ١٣٨٥هـ= ١٩٦٦م) ،ط١٧، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٤١٢ هـ:٤/ ٢٢٤٧ .

[2] سورة الإسراء ،الآية :٨٠ .

[3] أسباب النزول للواحدي: ١٩٧ .

[4] سورة الإسراء، آية: ٧٦ .

لأنَّها هي المقصود من تلك الرحلة العظيمة، وإليها انتهاء الغاية، ثم ذكر مكة بالوصف نفسه وبالإضافة نفسها إلى الصدق تعظيماً لمكانتها، ولكي لا يُنسى فضلها بعد ارتفاع منزلة المدينة وسُمُوها على ما سواها بحلول رسول الله ﷺ فيها .

المبحث الثاني
أسْمَاءُ المَديْنَةِ المُنَوَّرة

ذَكَرَ العلماءُ والمؤرِّخون للمدينة المنورة أسماءً كثيرة، فمنهم من ذكر لها أربعة أسماء(١)، و منهم من ذكر لها عشرة أسماء(٢)، ومنهم من ذكر لها أَحد عشر اسماً(٣)، ومنهم من ذكر لها تسعة وعشرين اسماً(٤)، وقد جمع الدكتور محمد إلياس عبد الغني لها أربعة وستين اسماً(٥) .

---

(١) ينظر: تاريخ المدينة المنورة: أبو زيد عمر بن شبة النميري (ت: ٢٦٢ هـ - ١١٩١ م)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، لم تذكر الطبعة ولا سنتها ولا مكانها: ١/ ١٦٣ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٢/١ .

(٣) ينظر: الدرة الثمينة في أخبار المدينة: أبو عبد الله محمد بن محمود البغدادي المعروف بابن النجار (ت: ٦٤٣هـ - ١٤٦٦ م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م : ٥١ .

(٤) ينظر: تاريخ المدينة المنورة المختصر: إعداد جماعة من العلماء بإشراف صفي الرحمن المباركفوري، ط ١، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٢ م: ١٢ .

(٥) ينظر: تاريخ المدينة المنورة المصور: د . محمد الياس عبد الغني، ط ١، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م: ٧

ومن الأسماء التي ذكرها هؤلاء العلماء: يثرب، والمدينة، وطيبة، وطابة، والشافية، والجابرة، وغيرها[١]، ولكن ما ورد منها في القرآن ثلاثة أسماء: اثنان متفقٌ عليهما على أَنَّهما من أسمائها، وهما: يثرب والمدينة، والثالث مختلف فيه، وهو مدخل الصدق .

الاسم الأول: المَدِيْنَة

قال الجوهريُّ: (مَدَنَ بالمكان: أقام به، ومنه سُمِّيتِ المدينة، وهي فعيلة وتُجمع على مدائن – بالهمز – وتجمع أيضًا على مدْن ومدُن)[٢] .

وقال ابن منظور: (كلُّ أَرضٍ يُبنى بها حصنٌ في أَصطمتها* فهي مدينة)[٣] .

وقال الزبيدي: (والمدينةُ اسم مدينة النبي ﷺ خاصة، غلبت عليها تفخيماً لها، شرَّفها اللهُ تعالى وصانها، ولها أسماء جمعتُها في كراسة)[٤] .

إذن المدينة تعني الاستقرار، كما ترمز إلى التحصن .

---

[١] ينظر: للاستزادة: المدينة المنورة في الفكر الإسلامي: د . حمد عبد الكريم البرزنجي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م): ١٦ – ١٧ .

[٢] الصحاح في اللغة (تاج اللغة وصحاح العربية): أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت: ٣٩٣ هـ = ١٠٠٣ م) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ =١٩٨٧م: مادة (مدن): ٦/٢٢٠١ .

* اصطمته الشيء: مجتمعه ووسطه، ، العين: مادة (سطم): ٧/٢٢١ .

[٣] لسان العرب: مادة (مدن): ٣/٤٠٢ .

[٤] تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي(ت: ١٢٠٥ هـ = ١٧٩٠ م)، تحقيق:مجموعة من المحققين، دار الهداية: مادة (مدن): ٣٦/١٥٧ .

وقد ورد لفظ " المدينة " وَأُرِيْدَ به المدينة المنورة في القرآن الكريم أَربع مرات، اثنتان منهما في سورة التوبة :

- **الأولى:** قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

ويبدو لي إِنَّهُ سمَّى المدينة باسمها المعروف لأمور :

- **أولها:** إِنَّ الآية في سياق عدة آيات تحذر بشدة من المنافقين، وخطر المنافقين كما هو معلومٌ أَشد من خطر المشركين والكفار، فكان لابد من فضحهم وبيان مكائدهم ومحال وجودهم، ولابد أن يكون كل ذلك بصراحة ووضوح، غير قابل للتأويل ولذلك سمى المدينة باسمها ؛ ولئلا ينصرف الذهن إلى غيرها، أو يكون الأمر قابلاً للتأويل والتحريف .

وهناك أمر آخر أرى الاشارة إليه وهو: لماذا قال "من أهل المدينة" ولم يقل "من المدينة" ؟

يبدو لي أنَّ السبب في ذلك هو أنَّ القرآن الكريم أراد من المؤمنين أن يحتاطوا ويحذروا الخونة – من المنافقين– من أهل الدار، فكأنَّه يقول لهم: إحذروا فالخونة من سكنة المدينة القدامى الذين هم أهلها، فلا تأمنوهم .. وذلك أبلغ في إيقاع الحذر في النفوس .

-**وثانيها:** إنَّ الكلام ليس عن المدينة أصلاً، وإنما الكلام مُنْصَبٌ على المنافقين، فتسمية المدينة بغير اسمها لا فائدة منه في مثل هذا الموضع، بل قد يُشَتِّتُ الأذهان فيما لا طائل تحته .

- **وثالثها:** إِنَّ تسمية الأشياء بمسمياتها لَهُوَ أوقع في نفوس المنافقين من ذكرها بوصفها أو التلميح إليها؛ وذلك لأنَّ إيمان المنافقين أصله

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠١ .

المراوغة والخداع والتدليس، فالخطاب الواضح الذي لا لبس فيه يوقع في نفوسهم الرعب، حتى كأننا حين نقرأ تلك الآيات نشعر كأنَّ القرآن الكريم قد صرح - أو كاد أنْ يُصَرِّحَ - حتى بأسمائهم بعد التصريح المباشر بأوصافهم وأماكن سكناهم .

- **والآية الثانية:** وهي بعد الآية السابقة بآيات قلائل، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [١]، غير أنَّ في هذه الآية عتاباً شديداً للمتخلفين من المؤمنين، قال أبو حيان: (نزلت فيمن تخلف عن غزوة تبوك، وفيمن تخلف ممن حولهم من الإعراب من مزينة وجهينة وأشجع وأَسلم وغفار)[٢] .

وقال البيضاوي: (ما كان لأهل المدينة: نَهْيٌ عَبَّرَ بـه بصيغة النفي؛ للمبالغة)[٣]، وقال سيد قطب: (إِنَّ أهل المدينة هم الذين تبنَّوا هذه الدعوة وهذه الحركة، فهم أهلها الأقربون، وَهُمْ بِهَا وَلَهَا، وهم الذين آووا رسول الله ﷺ وبايعوه، وهم الذين باتوا يُمَثِّلون القاعدة الصلبة لهذا الدين في مجتمع الجزيرة كله، وكذلك القبائل الضاربة من حول المدينة وقد أسلمت، وباتت تؤلف الحزام الخارجي للقاعدة، فهؤلاء وهؤلاء ليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ، وليس لهم أن يُؤثروا أنفسهم على

---

[١] سورة التوبة: آية ١٢٠ .

[٢] البحر المحيط: ١١٤/٥ .

[٣] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي(ت: ٦٩١هـ= ١٢٩٢م)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ:١٠١/٣ .

نفسه ... وحين يخرج رسول الله ﷺ في الحر أو البرد، في الشدة أو الرخاء، في اليسر أو العسر، ليواجه تكاليف هذه الدعوة وأعبائها، فإنَّهُ لا يحق لأهل المدينة – أصحاب الدعوة – ومَنْ حولهم من الأعراب، وهم قريبون من شخص رسول الله ﷺ، ولا عذر لهم في أن لا يكونوا قد علموا أن يشفقوا على أنفسهم مما يحتمله رسول الله ﷺ، من أَجل هذه الاعتبارات يهتف بهم أن يتقوا الله، وأنْ يكونوا مع الصادقين الذين لم يتخلفوا، ولم تحدثهم نفوسهم بتخلفٍ، ولم يتزلزل إيمانهم في العسرة ولم يتزعزع ...وهم الصفوة المختارة من السابقين والذين اتبعوهم بإحسان)⁽¹⁾ .

إذن السياق هنا مختلف، والمقام مقام عتاب ؛ ولذلك يبدو لي إِنَّهُ ذكر المدينة باسمها لما يأتي :

١) تذكيرُ المؤمنين المتخلفين بأنَّهم من " المدينة " تلك المدينة العظيمة التي استقبلت رسول الله ﷺ ودعوته بالأحضان المشتاقة المتلهفة إلى أنواره، وإلى دعوته إلى سعادة الدنيا والآخرة، بخلاف كُلِّ مدن الأرض التي ناصبته العداء آنذاك، ومنها مكة بَلَدُهُ الأمّ، فكأنَّ القرآن الكريم يخاطبهم قائلاً: إِنَّ التخلف أمرٌ لا يصحُّ وقوعه أصلاً منكم؛ لأنكم أهل المدينة التي أدخلت السرور على قلب رسول الله ﷺ، واحتضنتهُ ودعوتَه .

٢) في الآية تلميح إلى أنَّ التخلف عن رسول الله ﷺ يشبه عمل المنافقين، ويظهر ذلك واضحاً عند تأمّل أسلوب الآيتين الأولى والثانية فهما تكادان تتطابقان من حيث الألفاظ : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾⁽²⁾

---

[1] في ظلال القرآن :٣/ ١٧٣٣ .

[2] سورة التوبة، من الآية: ١٠١ .

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾(١)
فبين الآيتين تسع آيات فقط .

٣) وليست هذه الآية في سياق مدح المدينة أو ذكر مزاياها، إنِّما هي في سياق عتاب أهلها كما مر .

* **الآية الثالثة:** وهي أيضًا في سياق ذمّ المنافقين وتحذيرهم تحذيراً شديداً، قال تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢)، قال ابن عطية: (اللام في قوله تعالى " لئن " هي المؤذنة بمجيء القسم واللام في " لنغرينك " هي لام القسم وتوعد الله تعالى هذه الأصناف في هذه الآية وقرن توعده بقرينة متابعتهم وتركهم الانتهاء)(٣)، وقال ابن كثير: (يقول الله تعالى متوعداً للمنافقين وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، والذين في قلوبهم مرض ؛ أي: الزناة، والمرجفون؛ أي: الذين يقولون جاءت الأعداء، وجاءت الحروب وَهُوَ كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ،، لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق، لنسلطنك عليهم ثم لا يجاورونك في المدينة إلا قليلاً)(٤)، وقال أبو السعود: (لنغرينك بهم ؛ أي: لنأمرنَّك بقتالهم وإجلائهم، أو بما يضطرهم إلى الجلاء ولنحرضنك

---

(١) سورة التوبة، من الآية: ١٢٠ .

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٦٠ .

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت: ٥٤٢ هـ = ١١٤٨م)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م: ٣٩٩/٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم: (تفسير ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت:٧٧٤هـ=١٣٧٣م)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: ٦ /٤٨٢- ٤٨٣

على ذلك " ثم لا يجاورونك " عطف على جواب القسم و" ثم " للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول ﷺ أعظم ما يصيبهم فيها)⁽¹⁾ .

ولعله ذكر المدينة باسمها هنا فضلاً عما سبق؛ لأنّ في الآية تحذيراً شديداً للمنافقين من عواقب إساءاتهم المتكررة في المدينة ؛ للإشارة إلى نهي النبي ﷺ وتحذيره كثيراً من الإساءة فيها بقوله: **((المَدينةُ حَرَمٌ ما بين عَيْرٍ إلى ثور، فمن أَحدث فيها حَدَثاً أو آوى مُحْدِثاً فَعَلَيْهِ لعنةُ الله والملائكة والنَّاس أجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة صرفٌ ولا عدلٌ))**⁽²⁾، إذن المقامُ هنا مقام التحذير من الإساءة إلى المدينة وأهلها بالإرجاف ؛ ويؤكد ذلك إِنَّهُ أشار إليهم أنهم إذا استمروا في إساءاتهم لتلك المدينة فسيكون الجزاء من جنس العمل، وذلك بإخراجهم من المدينة التي عاشوا فيها حياتهم .

* **الآية الرابعة:** وهي وإِنْ كانت في سياق الكلام عن النفاق وأهله، لكن هنا الناطق باسم المدينة مختلف، فهو المنافقون أنفسهم، لا اللهُ تعالى، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾، قال قتادة: (ذكر لنا أنَّ رجلين اقتتلا: رجل من جهينة ورجل من غفار، فظهر الغفاري على الجهيني، فنادى عبد الله بن أُبَيّ: يا بني الأوس أُنصروا أخاكم، فوالله ما مثلنا ومثل مُحَمَّد إلا كما قال القائل: سَمِّنْ كلبك يأكلك، فوالله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذل، فسمع بها رجل

---

[1] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١١٥/٧ .

[2] صحيح البخاري: ١١٥٧/٣ رقم الحديث: ٣٠٠١ ؛ صحيح مسلم: ٩٩٤/٢، رقم الحديث: ١٣٧٠.

[3] سورة المنافقون، آية: ٨ .

من المسلمين فجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فأرسل إليه فجعل يحلف بالله ما قال، وأنزل الله تعالى هذه الآية)[١] .

وبناءً على ذلك فإِنَّهُ يظهر لي أنَّ القرآن الكريم إنما ذكر المدينة باسمها لِأَنَّهُ أراد فضح ذلك المنافق الذي اقسم كاذباً، فكان لابد من ذكر قوله نصاً فلم يكُ من المقنع أنْ تحذف أيُّ لفظة ممَّا قاله ومنها " المدينة " ؛ ليكون ذلك أَشد تبكيتاً له وفضحاً لقومه، فلو ذكر " المدينة " مثلاً بغير اسمها لكان ذلك المنافق اشد إنكارًا، وليس هو فحسب بل سامعوه ؛ لأنه قال ذلك الكلام في مجمع من الناس منهم المنافق ومنهم المؤمن .

الاسم الثاني: يثرب

قال الخليل: (الثَّرْبُ شحمٌ رقيقٌ يغشي الكرش والأمعاء والجمع ثُروبٌ، وقوله ﷻ: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾[٢]، أي: لا لومَ عليكم، والتثريب: الإفساد، والتثريب بالذنب، لا أُثرِّب عليك)[٣] .

وذكر ابن منظور عدة معان للثَرْبْ وما يشتق منه، ومنها[٤] :

أ- التثريبُ كالتأنيب .

ب- التعييرُ بالذنب .

ج- الاستقصاءُ في اللَّوم .

د- الثارب: المُوَبِّخ .

هـ- المُثَرِّب: قليلُ العطاء، الذي يَمُنَّ بما أعطى .

و- ثَرَّبت عليهم فعلهم: قَبَّحْتُ عليهم فعلهم .

هذا ما كان من أقوال أهل اللغة في الاشتقاق اللغوي ليثرب .

---

[١] أسباب النزول للواحدي: ١٧٠ .

[٢] سورة يوسف، من الآية: ٩٢ .

[٣] العين: مادة (ثرب): ٨/٢٢٢ .

[٤] لسان العرب: مادة (ثرب) ١/٢٣٤ .

أمَّا علماء البلدان فقد مال الحموي إلى أنَّ يثرب مدينة رسول الله ﷺ (سميت بذلك؛ لأنَّ أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، فلما نزلها رسول الله ﷺ سمَّاها طيبة، وطابة كراهية للتثريب؛ وسميت مدينة الرسول ﷺ لنزوله بها) (١)، ولم يُسلِّم الحموي إلى كون " يثرب " مشتقاً من التثريب .

ثم قال الحموي: (ثم اختلفوا، فقيل: إنَّ يثرب للناحية التي منها مدينة الرسول ﷺ، وقال آخرون: بل يثرب ناحية من مدينة النبي ﷺ)(٢).

وأياً كان الأصل فقد ظهر لي إنَّه كان ليثرب نصيب من اسمها– قبل حلول رسول الله ﷺ فيها – فقد كانت أرض مشقة وشدة وجهد ؛ ولذلك غَيَّر رسول الله ﷺ اسمها ليكون طيبة .

ويدلنا على أنَّها كانت أرض مشقة وشدة ما يأتي :

- ***أولًا:*** إنَّها كانت أرضاً مُحِمَّة ؛ أي: تصيب من يسكنها الحمى الشديدة، وقد ورد في الصحيح أن سيدنا بلالاً وسيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنهما قد أصابتهما حُمَّى المدينة بعد نزولهم فيها بعد الهجرة(٣) .

---

(١) معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي(ت:٦٢٦هـ – ١٢٢٩م)، دار الفكر، بيروت: ٤٣٠/٥ .

(٢) معجم البلدان : ٣٣٧/٤ .

(٣) ينظر: صحيح البخاري: ٦٦٧/٢، رقم الحديث: ١٧٩٠ ؛ وينظر: صحيح مسلم: ١٠٠٣/٢، رقم الحديث: ١٣٧٦ .

- ***ثانياً:*** إِنَّ الرسول ﷺ دعا الله أن ينقل حُمَّاها إلى خارجها(١)، ولكن بعد دخول رسول الله ﷺ تَغَيَّر كل ذلك حتى قال ﷺ: ((**مَنْ قال للمدينةِ يثرب فَلْيستغفر الله، هي طيبةٌ " ثلاث مرات "**))(٢) .

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ (٣) .

وهذه الآية تحكي لنا مشهداً من مشاهد معركة الخندق .

قال الطبري: (وإذ قال بعض المنافقين: يا أهل يثرب، ويثرب اسم أرض فيقال: إِنَّ مدينة رسول الله ﷺ في ناحية من يثرب، وقوله " لا مقام لكم فارجعوا " بفتح الميم من مقام، يقول: لا مكان لكم، تقومون فيه، فارجعوا إلى منازلكم فأمرهم بالهرب من عسكر رسول الله ﷺ والفرار منه وترك رسول الله ﷺ، وقيل: إِنَّ ذلك من قيل أوس بن فيضي، ومن وافقه على رأيه)(٤) .

قال الإمام البقاعي مبيناً سبب الإتيان بهذا الاسم هنا: (عدلوا عن الاسم الذي وَسَمَها به النبيُّ "صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً" من المدينة وطيبة لحسنه إلى الاسم الذي كانت تُدعى به قديماً مع احتمال قبحه باشتقاقه من الثرب الذي هو اللوم والتعنيف ؛

---

(١) ينظر: صحيح البخاري: ٦٦٧/٢، رقم الحديث: ١٧٩٠ ؛ وينظر: صحيح مسلم: ١٠٠٣/٢، رقم الحديث: ١٣٧٦ .

(٢) مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١ هـ - ٨٢٧ م)، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، ط ٢، المكتب الإعلامي، بيروت، ١٤٠٣ هـ: ٢٦٧/٩، رقم الحديث ١٧١٦٧ .

(٣) سورة الأحزاب: آية ١٣ .

(٤) تفسير الطبري: ٢٢٤/٢٠ .

إظهاراً للعدول عن الإسلام)(١)، وقال الأستاذ بسام جرار: (أمَّا **يثرب** فقد ماتت، ولم تعد تعني أحدًا من الناس، إلا ما كان من بعض المتنفذين في مرحلة الجاهلية، من أمثال عبد الله بن أبي بن سلول، الذي توقّع وتمنّى زوال المدينة، وذلك عندما رأى الأحزاب تُطبق بجيوشها على أطرافها، فكانت منه الصيحة التي تكشف عن أسرار القلوب، وتعلن عن رغائب الموتورين من أعداء الحقيقة، وأعداء المدينة الفاضلة: " وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثربَ لا مُقام لكم فارجعوا..." . وإذا كانت يثرب أمنية بعض المنافقين فإنّ المدينة ستبقى أمنية الإنسانية جمعاء)(٢).

وأنا أميل إلى توجيه البقاعي، فقد قال تعالى قبل تلك الآية: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (٣)، فقد كفروا بالله ورسوله ثم تخلوا عن رسوله، وحثوا الناس على ذلك، ولكن فضلاً عما ذكر البقاعي فإِنَّهُ يبدو لي أنهم ذكروا يثرب لأمور لعل منها :

١) إِنَّهم حاولوا التأثير على المؤمنين ولومهم لوماً شديداً وتعنيفهم، فناسب هذا الأسلوب أن يذكروا اسم "يثرب" بما تثيره في النفوس من دلالات اللوم والعتب والتقريع، لعل ذلك يؤثر في نفوسهم فيتخلوا عن رسول الله .

٢) ولعلهم حاولوا أن يعيدوا إلى أذهانهم بذكر الاسم القديم للمدينة أنَّهم كانوا قبل مجيء الرسول ﷺ، وقبل تغيير اسم المدينة

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر البقاعي(ت:٨٨٥ هـ – ١٤٨٠م) ، ط ٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣ هـ: ٥/ ٣٠٦ .

(٢) – من أسرار الأسماء في القرآن الكريم: بسام نهاد جرار، مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية، ط١،البيرة، فلسطين، ١٤٢٤ه=٢٠٠٣م: ٨١ .

(٣) سورة الأحزاب، آية: ١٢ .

بحلوله فيها أهل منعة لا تجتمع الناس على قتالهم، وكل ذلك لعله يكون مدخلاً إلى التأثير في نفوسهم .

٣) إِنَّهم كانوا – أي: المنافقون – يشعرون بالشدة والضيق فلم يجدوا لفظة تعبر عمَّا تجيش به صدورهم من ذلك الحنق والضيق من " يثرب " فاتخذوها متنفساً، ولاسيما أنَّهم كانوا يخاطبون قوماً فيهم المؤمن القوي والمؤمن الضعيف والمتردد بسبب اجتماع الأحزاب لقتالهم وتخلل الخوف إلى نفوسهم، فكانوا لا يستطيعون التصريح بكفرهم، وإنما يحاولون التنفيس عنه بأيِّ شيء كان .

الاسم الثالث: مَدْخَلُ الصِّدْقِ

وهو الاسم المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِی مُدۡخَلَ صِدۡقٍ وَأَخۡرِجۡنِی مُخۡرَجَ صِدۡقٍ وَٱجۡعَل لِّی مِن لَّدُنكَ سُلۡطَـٰنًا نَّصِیرًا ﴾ [١]، وقد مر بنا تفصيل الآية في أسماء مكة، قال أبو شامة: (ومُدخلاً بالضمِّ إمَّا مصدرٌ، أو اسمُ مكان)[٢] .

وقال الفيروزآبادي: (والصدق في الأعمال: استواءُ الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد)[٣]، وقال أيضًا: (فمدخل الصدق ومخرج الصدق أن يكون دخوله وخروجه حقاً ثابتاً لله تعالى ومرضاته، متصلاً بالظفر ببغيته وحصول المطلوب، ضد مخرج الكذب ومدخله الذي لا غاية له يوصل إليها، ولا له ساق ثابتة يقوم عليها

---

[١] سورة الإسراء، آية: ٨٠ .

[٢] إبراز المعاني من حرز الأماني: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة(ت:٦٦٥ هـ = ١٢٦٧م)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ٤١٦ .

[٣] بصائر ذوي التمييز: ٣/٣٩٩ .

كمخرج أعدائه يوم بدر، ومخرج صدق كمخرجه هو وأصحابه في ذلك الغزو، وكذلك مدخله المدينة كان مدخل صدق بالله، ولله، وابتغاء مرضات الله، فاتَّصَل به التأييدُ والظفر والنصر وإدراك ما طلبه في الدنيا والآخرة، بخلاف مدخل الكذب الذي رام أعداؤه أن يدخلوا به المدينة يوم الأحزاب، فإنَّه لم يكن بالله ولا لله، بل محادة لله ورسوله فلم يتصل به إلا الخذلان والبوار، وكذلك مدخل من دخل من اليهود والمحاربين لرسول الله ﷺ حصن بني قريظة فإنَّه لمَّا كان مدخل كذب أصابهم ما أصابهم، وكلُّ مدخلٍ ومخرجٍ كان بالله ولله وصاحبه ضامن على الله فهو مدخل صدق ومخرج صدق ؛ ولذلك فسر مدخل الصدق ومخرجه بخروجه من مكة ودخوله المدينة ولا ريب أن هذا على سبيل التمثيل كان هذا المدخل بالمخرج من اجل مداخلة ومخارجه ﷺ وإلا فمدخله ومخارجه كلها مداخل صدق ومخارج صدق)[1] .

ويلوح لي إنَّ تسمية المدينة بذلك الاسم " مدخل الصدق " كان مراعاة لحال رسول الله ﷺ، وبيان ذلك أنَّ رسول الله ﷺ حين كان بمكة لقي من صنوف الأذى ما لا يحصى، وحين أُمر بالهجرة كان مترقباً للوضع الجديد الذي سيدخل فيه، فهو سيدخل بلداً غير بلده، وأرضًا غير أرضه، وسيدخل في قبائل غير قبيلته وغير القبائل التي عاش بينها في مكة ؛ ولذلك لما أراد الله طمأنته علّمه هذا الدعاء – وقطعاً هو مستجيب له – إذن هي إشارة وبشارة من الله لحبيبه بأنَّ المدينة ستكون مدخل صدق ؛ أي: كأن الله يقول لحبيبه ﷺ: إنَّك ستدخل دخولاً لا ترى فيه إلا ما تُحِبُّ، وستدخل مدينةَ الصدق، وستتعامل مع أهل الصدق في القول والعمل والعهد، وسيكون كل من يدخل المدينة داخلاً في الصدق، فهي أرض الصدق حقاً .

---

[1] بصائر ذوي التمييز:٣/ ٤٠١ .

الخاتمة وأَهَمُّ النتائج

– ظهر أنَّ اسم مكة ورد في القرآن الكريم مرة واحدة " ببطن مكة " – مُضافاً إليه–، وكان لابُدَّ من التَّصريح به؛ لأنَّه ليس في سياق مدح مكة أو تعظيمها وإنما لذكر مَحَلّ مخصوص " بطن مكة " وهو الحديبية، والإضافة لكي تفيد تعريفاً لابد أن تضاف إلى معلومٍ لا إلى مبهم، في حين ذكر " بكة " في سياق ذكر قصد الناس للبيت وتزاحمهم عليه وهو " البكُّ "، أما اسم القرية فقد ورد غالباً في ذكر العذاب أو التحذير منه، وذكر القرى الكافرة، وورد اسم أمّ القرى في سياق الإنذار للقرى الخارجة عن أمر الله ليكون أَبلغ في النفوس، وورد اسم البلد بالتعريف والتنكير في دعاء سيدنا إبراهيم ﷺ لمكة حين ترك فيها هاجر وإسماعيل عليهما السلام لتكون مكة بلداً تقيم فيه الناس لتؤنس وحشتهما، وحين دعا له بالتعريف " البلد " كانت الدعوة لتحقيق الأمن؛ لأنها صارت بلداً، وهكذا سائر أسماء مكة .

– وتبين لي أن القرآن ذكر اسم " يثرب " حين حكى قول المنافقين الذين ساءهم ما رأوه فيها من حصار المشركين وجمعهم الجموع لقتالهم، في حين ورد اسم المدينة أمّا لحكاية نصّ قول المنافقين لفضح أقوالهم ونواياهم، أو التحذير من الإساءة لها وبها، إشارة وتذكيراً بقوله ﷺ **((المَدِيْنَةُ حَرَمٌ))** .

– وخلاصة البحث أنَّ أسماء مكة والمدينة في القرآن الكريم لم ترد فقط للدلالة على مسمياتها، وإنما كانت مقصودة، يُتفنن فيها بما يناسب السياق والمقام الواردة فيه .

المصادر والمراجع

بعد القُرآنِ الكريم

أولاً :المصادر

١) إبراز المعاني من حرز الأماني: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة(ت: ٦٦٥ هـ = ١٢٦٧م)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت .

٢) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه: محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي(ت: ٢٧٥ هـ = بعد ٨٨٨ م)، تحقيق: د.عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط ٢، دار خضر، بيروت، ١٤١٤ هـ .

٣) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أَحمد الأَزرقي(ت: نحو ٢٥٠ هـ = نحو ٨٦٥ م)، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى(ت:٩٨٢هـ =١٥٧٤م)دار إحياء التراث العربي،بيروت .

٥) أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨ هـ= ١٠٧٦ م)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ .

٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي(ت: ٦٩١هـ= ١٢٩٢م)،

تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ .

٧) البحر المحيط :محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت: ٧٤٥هـ- ١٣٤٤م)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م .

٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(ت: ٨١٧ هـ = ١٤١٥م)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

٩) تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني(ت: ١٢٠٥ هـ=١٧٩٠م)، أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق:مجموعة من المحققين، دار الهداية .

١٠) تاريخ المدينة المنورة: أبو زيد عمر بن شبة النميري (ت:٢٦٢هـ - ١١٩١م)،تحقيق:فهيم محمد شلتوت، لم تذكر الطبعة ولا سنتها ولا مكانها .

١١) تحرير ألفاظ التنبيه: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي(ت: ٦٧٦هـ =١٢٧٨م)،تحقيق: عبد الغني الدقر، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٠٨ هـ .

١٢) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت:٧٧٤ هـ = ١٣٧٣م)،

تحقيق:سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

١٣) تفسير القرآن: عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١ هـ - ٨٢٧ م)، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، ط ١، مكتبة الرشد الرياض، ١٤١٠ه.

١٤) تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ=٧٢٢م)، تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

١٥) جامع البيان في تأويل القرآن :محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري(ت:٣١٠هـ = ٩٢٣م) ،تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٦) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ= ١٢٧٣م)، تحقيق: هشام سمير البخاري، ط١،دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م .

١٧) الدرة الثمينة في أخبار المدينة: أبو عبد الله محمد بن محمود البغدادي المعروف بابن النجار (ت: ٦٤٣هـ - ١٤٦٦ م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

١٨) دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني(ت: ٤٧١ هـ = ١٠٧٨ م)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر،

ط٣، مطبعة المدني، القاهرة – دار المدني، جدة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

١٩) الزاهر في معاني كلمات الناس :محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري(ت: ٣٢٨ هـ = ٩٤٠م) ،تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروتٍ، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م .

٢٠) سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي(ت: ٣٩٢ هـ = ١٠٠٢م)، تحقيق: د . حسن هنداوي، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥ م .

٢١) الصحاح في اللغة (تاج اللغة وصحاح العربية): أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت: ٣٩٣ هـ = ١٠٠٣م)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ =١٩٨٧م .

٢٢) صحيح البخاري: (الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه):محمد بن إسماعيل البخاري(ت:٢٥٦هـ-٨٧٠م)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا،ط٣،دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٢٣) صحيح مسلم(المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦٤ هـ – ٨٧٥ م)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٢٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد العينتابي (ت: ٨٥٥هـ – ١٤٥١هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٢٥) العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ= ٧٨٦م)، تحقيق:د .مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .

٢٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير :محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت: ١٢٥٠هـ=١٨٣٤م)، ط١، دار الفكر، بيروت .

٢٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(ت: ٥٣٨هـ = ١١٤٣م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٢٨) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١ هـ = ١٣١١م)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ .

٢٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت: ٥٤٢ هـ = ١١٤٨م)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م .

٣٠) مصنف عبد الرزاق:أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني(ت:٢١١هـ– ٨٢٧م)،تحقيق:حبيب الرحمن الأعظمي،ط٢،المكتب الإعلامي،بيروت، ١٤٠٣ هـ .

٣١) معاني القرآن الكريم: أبو جعفر أحمد بن محمد النحوي النحاس(ت:٣٣٨ هـ=٩٥٠م)،تحقيق:محمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩ هـ .

٣٢) معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي(ت: ٦٢٦ ه= ١٢٢٩م)، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م .

٣٣) معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن وجاءت بها السنن والأخبار وتأويل ألفاظ مستعملة: أبو بكر محمد بن عُزَيْر السجستاني(ت: ٣٣٠ هـ=٩٤١م)، تحقيق:د.جميل عبد الله عويضة، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨ م .

٣٤) المفردات في غريب القرآن :أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى(ت: ٥٠٢ هـ= ١١٠٨م)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية،دمشق، بيروت، ١٤١٢ هـ .

٣٥) مقاييس اللغة :أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي(ت:٣٩٥هـ =١٠٠٤م)، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٣٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر البقاعي(ت: ٨٨٥ هـ =١٤٨٠م)، ط ٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣ هـ .

ثانياً: المراجع

٣٧) تاريخ المدينة المنورة المختصر: إعداد جماعة من العلماء بإشراف صفي الرحمن المباركفوري، ط ١، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض،٢٠٠٢م .

٣٨) تاريخ المدينة المنورة المصور: د . محمد الياس عبد الغني، ط ١، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .

٣٩) تفسير آيات الجدل في القرآن الكريم: حسن رفاعي، ط١، القاهرة، ١٩٩٤م.

٤٠) في رحاب البيت العتيق: د. محيي الدين إمام، دار قرطبة، الهرم، مصر، ١٤٢٣ه – ٢٠٠٣م .

٤١) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي(ت: ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م)، ط١٧، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٤١٢ هـ.

٤٢) لمسات بيانية في نصوص التنزيل: د . فاضل صالح السامرائي، بدون ذكر الطبعة ولا مكانها ولا سنتها .

٤٣) المدينة المنورة في الفكر الإسلامي: د . حمد عبد الكريم البرزنجي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .

٤٤) مكة المكرمة في الفكر الإسلامي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين: د.حمد عبد الكريم البرزنجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م .

٤٥) من أسرار الأسماء في القرآن الكريم: بسّام نهاد جرّار، مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية،ط١، البيرة، فلسطين، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

Some of the names of the prophets "semantic study "

Dr.Haidar Hussein Obaid

Abstract

Praise be to Allah , the lord of the worlds, and may his peace and blessings be upon our prophet Muhammad , his family and all his companions .

It is beyond dispute that the glorious Qura'n is inimitable in its composition . thus , each single words in it chosen in a high-accurate to be appropriate for the context and place in which it is mentioned and revealed

The multi-names for one thing or one person, specially will bring to light the aesthetic touch of the multi-names for one thing or one person specially for the names of the prophets (peace be upon them)is among those expressions that are repeated in the glorious Qura'n .

The research will bring to light the aesthetic touch of the multi-names for the so called , specially for the names of the prophets .

The research is divided in to four chapters :

Chapter one: the names of our prophet Muhammad (peace be upon them) .

Chapter tow : : the names of Jesus (peace be upon them) .

Chapter three : the names of Jonah (peace be upon them) .

Chapter four : thol-kifil and allyas (peace be upon them) .

This research deals with the sense of name and its relation within the context it is in .moreover , it tries to

show the accuracy of the glorious Qura'nin using the name in appropriateway to its context and place it also shows the relation between choosing the name and the general atmosphere for the Qura'nic verses and its atmosphere.

The glorious Qura'n has used the name (Ahmed) in the context of preferring our prophet (peace and blessings be upon him) at our prophet "Jesus" and other prophets , and the same usage for giving the good news which requires to mention the best qualities of that person "from whom the good news came to show that (Ahmed) is linguistically preferred .moreover , it may be used in the personal status which requires to name things clearly .

From another hand the glorious Qura'n has mentioned the name of Muhammad in the context of his esteem and showing his honor , his great characteristics or showing the greatness of his companions . the praise of the follower is a praise to that be followed .